

روح المعاني

تكون مصدرية والتبوء إتخاذ المباءة أي المنزل كالتوطن إتخاذ الوطن والجمهور على تحقيق الهمزة ومنهم من قرأ تبويا لقومكما بمصريوتا فجعلها ياء وهي مبدلة من الهمزة تخفيفا والفعل على ما قيلما يتعدى لواحد فيقال : تبوأ زيد كذا لكن إذا أدخلت اللام علىالفاعل فقليل : تبوأ لزيد كذا تعدى لما كان فاعلا باللام فيتعدى لإثنين وخرجت الآية على ذلك فلقومكما أحد المفعولين وقيل : هو متعد لواحد و لقومكما متعلق بمحذوف وقع حالا من البيوت واللام على الوجهين غير زائدة وقال أبو علي : هو متعد بنفسه لإثنين واللام زائدة كما في ردف لكم وفعل وتفعل قد يكونان بمعنى مثل علقتهاوتعلقها والتقدير بونا قومكما بيوتا يسكنون فيها أو يرجعون إليها للعبادة و مصر غير منصرف لأنه مونث معرفة ولو صرفته لخفته كما صرفت هنذا لكان جائزا والجار متعلق بتبوأ وجوز أن يكون حالا من بيوتا أو من قومكما أو من ضمير الفاعل في تبوأ وفيه ضعف واجعلوا أنتما وقومكما ففيه تغليب المخاطب على غيره بيوتكم تلك فالأضافة للعهد قبله أي مصلى وقيل : مساجد متوجهة نحو القبلة يعني الكعبة فإن موسى عليه السلام كان يصلي إليها وعلى التفسيرين تكون القبلة مجازا فيما فسرت به بعلاقة اللزوم أو الكلية والجزئية والاختلاف في المراد هنا ناظر للإختلاف في أن تلك البيوتالمتخذة هل للسكنى أو للصلاة فإن كان الأول فالقبلة مجاز عن المصلى وإن كان الثاني فهي مجاز عن المساجد .

وإعترض القول بحمل القبلة على المساجد المتوجهة إلى الكعبة بأن المنصوص عليه في الحديث الصحيح أن اليهود تستقبل الصخرة والنصارى مطلع الشمس ولم يشتهر أن موسى عليه السلام كان يستقبل الكعبة في صلاته فالقول به غريب وأغرب منه ما قاله العلائي : من أن الأنبياء عليهم السلام كانت قبلتهم كلهم الكعبة قيل : وجعل البيوت مصلى ينافيهما في الحديث جعلت لي الأرض مسجدا وطهورا من أن الأمم السالفة كانوا لا يصلون إلا في كنائسهم وأجيب عن هذا بأن محله إذا لم يضطروا فإذا اضطروا جازت لهم الصلاة في بيوتهم كما رخص لنا صلاة الخوف فإن فرعون لعنه الله تعالى خرب مساجدهم ومنعهم من الصلاة فأوحى إليهم أن صلوا في بيوتكم كما روي عن ابن عباس وابن جبير وقد يقال : إنه لا منافاة أصلا ببناء على أن المراد تعيين البيوت للصلاة وعدم صحة الصلاة في غيرها فيكون حكمها إذ ذاك حكم الكنائس اليوم وما هو من الخصائص صحة الصلاة في أي مكان من الأرض وعدم تعيين موضع منها لذلك فلا حاجة إلى ما يقال : من أن اعتبار جعل الأرض كلها مسجدا خصوصية بالنظر إلى ما إستقرت عليهشريعة موسى عليه السلام من تعيين الصلاة في الكنائس وعدم جوازها في أي مكان أرادته

المصلي من الأرض وما تقدم من إستقبال اليهود الصخرة فالمشهور أنه كان في بيت المقدس وأما قبل بعد نزول التوراة فكانوا يستقبلون التابوت وكان يوضع في قبة موسى عليه السلام على أنه قد قيل : إن الإستقبال في بيت المقدس كان للتابوت أيضا وكانوا يضعونها على الصخرة فيكون إستقباله إستقبالها وأما إستقبالهم في مصر فيحتمل أنه كان للكعبة كما روي عن الحسن وما في الحديث محمول على آخر أحوالهم ويحتمل أنه كان للصخرة حسبا هو اليوم ويحتمل غير ذلك وإِ تعالى أعلم بحقيقة الحال وقيل : معنى قبلة متقابلة ورواه ابن أبي حاتم عن ابن عباس رضي الله عنهما أي جعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضها وأقيموا الصلاة فيها قيل : أمروا بذلك أمرهم لئلا يظهر عليهم الكفرة فيؤذونهم ويفتنونهم